

ولقيه ماسح الأحذية وهو على الرصيف، فسأله: «تجى بكره يا بك؟»
ولكن البك لم تعد له أذن تستطيع أن تحتمل الإصغاء إلى مثل هذا الرجل، فقال
له: «رح.. رح» فألح الرجل ومشى إلى جانبه، يقول: «ليه يا بك.. أنا خدامك.. بس
استنى طوّل بالك.. إن ما كنتش أخدمك خدمة...»
فقاطعه سعيد ونهره.. ومضى عنه.

والمثل يقول: «راحت السكره وجاءت الفكرة» ولكن الفكرة تروح أحيانا مع
الصحو وتجىء مع السكر.. أو على الأقل، هذا ما كان من أمر سعيد، فقد قال لنفسه
إنه إذا كان من العجز بهذا القدر.. فأولى به أن يظل عاجزا وأن يعترف لنفسه بذلك
ويوطنها عليه. ولم يكن هذا الخاطر مما يجلو الكآبة ويلطف الوحشة التى تحسها
النفس، وأخلق بالاعتراف بضعف الحيلة وقلة الوسيلة وعدم الصلاح أن يزيد هبوط
الروح! ولا عجب إذا كان سعيد قد عاد إلى بيته وهو يسأل نفسه لماذا شرب هذا الزبيب
السخيف؟

ودخل على زوجته، وهو يقول لها: «اسمعى.. من الآن فصاعدا لا تدعينى أخرج
ومعى فلوس.. بس الكفاية للانتقال.. فاهمة؟»
فظنت أن ما معه سرقه النشالون، فقال: «لا.. بس شربت زبيب.. جنون بالطبع..
الرجال مجانين».

وارتمى على كرسى، وهو يقول: «قال زبيب.. كلام فارغ.. مسخرة وقلة حياء».
وأخذت كآبته صورة السخط على النفس، ولا نعرف كيف كانت أحلامه فى تلك
الليلة.. فإنه لم يقصها على أحد، ولكن الأرجح أنها لم تخل من «الزبيب والكلام
الفارغ»!